ASJP Algerian Scientific Journal Platform

مجلة التواصلية

ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537

HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294

المجلد: **07** / العدد: **22** **(2021)** **ص: 26/11**

# تجليات التناص القرآني في شعر أديب كمال الدين

# The manifestations of the Qur'anic intertextuality in the poetry of Kamal al-Din literature

حسين مهتدي*

أستاذ مشارك في اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس-بوشهر (إيران)

mohtadi@pgu.ac.ir

فاطمة بوعذار

طالبة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس- بوشهر (إيران)

fatima.phd98@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/03/16
تاريخ القبول:
2021/10/01

**الكلمات المفتاحية:**
- ✓ القرآن الكريم:
- ✓ التناص الكلمات:
- ✓ الشعر الحديث:
- ✓ شخصيات الأنبياء:
- ✓ أديب كمال الدين:

الملخص:

التناص لفظ نقدي حديث وفد إلينا من الغرب واستخدم أولا على يد الباحثة جوليا كريستيفا وقد ظهر في عدة أبحاث لها. وهو يعني تعالق النصوص وتداخلها وتوالدها ويعد التناص من أبرز التقنيات التي تساهم في إثراء النص وتعمل على تخصيب الرؤية الفنية وتعميقها. فقد اكثر الشعراء في نصوصهم من التناص بضروبه المختلفة لاسيما القرآني منه ونهلوا منه لإثراء تجاربهم الشعرية. قد كان القرآن الكريم بما فيها من المعاني والمضامين الراقية والظواهر البلاغية الجميلة مطمع الكتّاب والشعراء من عصر التنزيل حتّى عصرنا الحالي. فكان الشاعر العراقي المغترب، أديب كمال الدين من زمرة هؤلاء الشعراء حيث تأثر بالقرآن الكريم معاني والفاظا وتراكيب مستغلا طاقاته الإبداعية وتجلى القرآن في أشعاره مما زادها جمالاً ورونقاً وبهاءً. ويبيّن لنا امتزاجه بالقرآن الكريم حيث لم يفارق فكره ولسانه. فنحن في دراستنا هذه نحاول كشف ماوراء هذا التناص القرآني من تلميحات وإشارات ورموز حتّى نصل إلى المفاهم الماورائية للتناص القرآني في أشعار أديب كمال الدين وذلك عبر المنهج التوصيفي- التحليلي.

*Article info*

*Received*
*16/03/2021*
*Accepted*
*01/10/2021*

**Keywords:**
- ✓ *The Holy Quran Keyword:*
- ✓ *intertextuality :*
- ✓ *contemporary poetry :*
- ✓ *personalities of the prophets:*
- ✓ *Adib Kamal Al-Din:*

*Abstract :*

*Intertextuality is a modern critical term that is imported from the West . Julia Kristeva was the first to use this term which appeared in several of her researches. Intertextuality means texts overlap and reproduction. Intertextuality is one of the most important techniques that contribute to enriching the text and deepening the artistic vision. In their texts, poets increased their intertextuality in its various forms, especially the Qur'anic text, and they used it to enrich their poetic experience. The sacred Qur'an, with its contents and beautiful rhetorical phenomena, has always been a source of inspiration of writers and. The expatriate Iraqi poet, Adeeb Kamal al-Din, was one of these poets, as he was influenced by the Holy Qur'an meanings, words and structures, taking advantage of his creative energies, and the manifestation of the Qur'an in his poems, which increased its beauty, elegance and splendor. In this study, we try to reveal what is behind this Qur'anic intertextuality in terms of hints, signs and symbols, in order to reach the metaphysical concepts of Qur'anic intertextuality in the poems of Adeeb Kamal al-Din, through the descriptive-analytical approach.*

*المؤلف المرسل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

## 1. مقدمة:

لقد كان القرآن مُلهماً للشاعر المعاصر وملاذاً له في كثير من معالجاته لقضاياه الشعرية؛ فقد وظّفه من خلال اقتباس ألفاظه وتراكيبه، وضمّن نصه الشعري منه وأضاء به جوانب تجربته، فالقرآن "شكّل مصدراً إلهاميّاً ومحورًادلالياً لكثير من المعاني والمضامين التي استوحاها الشاعر المعاصر، وحاول النفاذ من خلالها لتصوير معاناته، والتعبير عن قضاياه، ومواقفه وتعميق تجاربه[1]".

إنَّ التناص أهم الآليات التي يستدعي فيها الشاعر النصوص المختلفة خاصة النص القرآني ودلالاته فهو مصطلح نقدي حديث ظهر في ظل الاتجاهات النقدية الحديثة ويُعدّ مجموعة من العلاقات الموجودة بين النصوص فينشأ من توالد النصوص أو تداخل نصّ ما مع نصوص أخرى.

لقد كانت انطلاقته الأولى على يد الناقدة الفرنسية ذات الأصول البلغارية، جوليا كريستيفا التي كانت تعتقد أنّ كلّ نصّ هو عبارة عن فسيفساء (ألوان) من الاقتباسات، أو هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى. استخدم الباحثون للتناص عدة مترادفات منها: التفاعل النصى، والتعالق النصي، والمصاحبات الأدبية (التضمين). والتناص في النقد الأدبى العربى له جذور تاريخية وله عدة مسميات تختلف عن مصطلحه الذي يستخدمه الباحثون اليوم منها: السرقات الشعرية، والتضمين، والإقتباس. ولمصطلح التناص أيضا أنواع عدة منها: التاريخي والأدبي والأسطوري والقرآني و. . . فنحن تناولنا في دراستنا هذه التناص القرآني الّذي وظفه الشاعر العراقى المغترب، أديب كمال الدين في منجزه الشعرى. وقد تفاعل أديب مع القرآن وعزز نصوصه بجماله وأثراها حتى استطاع أن يخلق شعرا ذا قيمة أخلاقية ودينية. لذا غاية ما يرمى اليه هذا المقال هو كيفية تجلّي القرآن ومدى صدى هذه المعجزة الخالدة وإظهار ما استُخدِمَ من مضامين وألفاظ ومعان وقصص قرآنية في أشعار أديب وذلك بمنهج توصيفي – تحليلي. يحاول هذا البحث في هذا المنهج الإجابة عن هذه الأسئلة:

1. كيف وظّف أديب كمال الدين القرآن الكريم ومدى تأثر به؟
2. ما هي الشخصيات القرآنيّة الّتي وظّفها الشاعر؟

## 2. خلفية البحث

هناك دراسات عديدة تناولت شعر أديب كمال الدين بالبحث والنقد. منها ما يجدر الإشارة به فيما يلي من الكتب: تجليات الجمال والعشق عند أديب كمال الدين للدكتورة أسماء غريب الصادر عن منشورات الضفاف 2013 م، الحروفى (33 ناقدا يكتبون عن تجربة أديب كمال الدين) من إعداد وتقديم د. مقداد رحيم – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت 2007 م، إشكالية الغياب في حروفية أديب كمال الدين لصباح الأنباري– من منشورات الضفاف

[1] . البنداري، حسن، صرصور، عبد الجليل حسن، ثابت، عبلة سلمان، (2009 م)، التناص الديني في الشعر الفلسطيني، مجلة جامعة الأزهر، غزة: مجلد 11، العدد الثاني، 247.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2014 م. ومن الدراسات: من موقف الألف إلى موقف الجنة لعدنان حسين أحمد، سلطة التناص الديني في شعر أديب كمال الدين لوديع العبيدي، تقنيات إثراء الدلالة في شعر أديب كمال الدين للدكتورة كبرى روشنفكر والدكتور رسول بلاوي التي نشرت في مجلة العلوم الإنسانية عام 2013 م. في كلّ هذه الكتب والدراسات لم يتطرق الباحثون بشكل موسع الى ظاهرة التناص خاصة التناص القرآنيّ في شعر الشاعر وأشاروا اليه بشكل موجز ومختصر. فنحن في هذه الدراسة المتواضعة سنهتم بشكل أوسع الى التناص القرآنيّ في شعر أديب كمال الدين.

## 3. الإطار النظري

إنَّ التناص أحد أهمّ المباحث التي اهتمَّ بها النقد الحديث، وهو ظاهرة لا يمكن تجاوزها وتغييبها في الكتابة الإبداعية، لأنَّ الكتابة لا تنتج عن فراغ؛ فالشاعر لا بدَّ أن يكون قارئاً جيداً للموروث القديم والحديث. وهذه القراءات الكثيرة هي تكوُّن مخزون الشاعر حتى إذا قال شعراً تسربت بعض تلك النصوص الغائبة إلى شعره. فالتناص هو تداخل نصوص قديمة وحديثة مع نص الشاعر الذي يكتبه وظهور أثرها فيه مع حفاظه على خصوصيته وميزاته. ظهر مصطلح التناص في تاريخ النقد الأدبي الحديث تحديداً في منتصف ستينات القرن الماضي، وذلك في أبحاث متفرقة نشرتها الناقدة الفرنسية (جوايا كريستيفيا) في مجلتي تيل- كيل وكريتك في فرنسا، ثمّ استثمرته من بعدها جماعة (تيل كيل)[1].

والتناص عند كريستيفا "هو ذلك التداخل داخل تعبير مأخوذ من نصوص أخرى وعلى هذا كل نص سيكون ذاتاً موحدة مستقلة لكنّه قائم على سلسلة من العلاقات بالنصوص الأخرى[2]". فالتناص هو التقاطع والتعديل المتبادل بين وحدات عائدة إلى نصوص مختلفة، فكل نص يتشكل من فسيفساء من الاستشهادات هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى[3]. كما ترى كريستيفا أنَّ التناص "أحد أهم مميزات النص الأساسية التي تحيل على نصوص أخرى سابقة عنها أو معاصرة لها[4].

أمّا الناقد الفرنسي جيرار جنيت أطلق على التناص بالتعالق النصي فهو عنده "كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة أو ضمنية مع نصوص أخرى، فهو يتجاوز معمار النص، وبعض الأنواع الأخرى ذات العلاقة الخاصة بالنصية المتعالية[5]". وللتناص جذور في الموروث النقدي القديم، حيث توجد مطصلحات تشير إلى التداخل بين النص الأصلي والنصوص الأخرى؛ مثل: التضمين والاقتباس والسرقة وغيرها من المصطلحات الأخرى لكنّ مصطلح التناص تجاوز مفهوم هذه المصطلحات فكان مجاله أوسع من ذلك وأرحب.

وقد تناول هذا المصطلح عدد من النقاد العرب بالبحث والدراسة، من بينهم عبد الله الغذامي الذي يقول في التناص: "يُصنع من نصوص متضاعفة التعاقب على الذهن، منسحبة من ثقافات متعددة، متداخلة في علاقات متشابكة من

---

[1] . خمري، حسين، إنتاج معرفة بالنص، مجلة دراسات عربية، ع11-12، 23 أيلول تشرين أول، بيروت،1987، 115 .
[2] . طاهري نيا، علي باقر، پرستو قياسوند، التناص القرآني في قصة حي بن يقظان لابن طفيل، فصلية اللسان المبين، السنة الثالثة، العدد الخامس، 2010، 140.
[3] . الزعبي، أحمد، التناص نظرياً وتطبيقاً، مكتبة الكتاني، الأردن، ط1، 1995، 149.
[4] . تامر، فاضل، النص بوصفه إشكالية راهنة في النقد الحديث، مجلة الأقلام، بغداد، ع 3-4، 16.
[5] . جنيت، جيرار، من التناص إلى الأطراس، ترجمة: مختار حسني، مجلة علامات، المجلد الخامس، 1997، 179.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المحاورة، والتعارض والتنافس[1]". ويرى محمد مفتاح أنَّ التناص: "تعالق نصوص مع نصّ يحدث بكيفيات مختلفة، أو كأنّها تجتمع فيه لتتعالق معه بدرجات متفاوتة[2]". وقد جعل مفتاح التناص في نوعين هما:

– الداخلي: وفيه يلجأ المبدع إلى أعماله السابقة، فيمتص منها، أو يحاورها أو يتجاوزها، وهذا يكون بقصد أو بغير قصد.

– وفيه يتجه المبدع إلى نصوص غيره فيحاورها أو يتجاوزها أيضا حسب ما يقتضيه الحال[3]. فمهما يكن للتناص من جذور في النقد العربي القديم إلا أنَّه مصطلح حديث النشأة واسع الانتشار عند النقاد العرب والغرب إذ لاقى منهم اهتماماً كبيراً وقبولاً واسعاً فذاع صيته في عالم الأدب والنقد.

## 4. أديب كمال الدين في سطور

الشاعر والمترجم والصحفى العراقى؛ أديب كمال الدين من مواليد عام1953 في محافظة بابل، العراق. حصل على شهادتى بكالوريوس الأولى في الإقتصاد عام 1976 من كلية الإدارة والإقتصاد بجامعة بغداد والثانية في الأدب الإنجليزى عام 1999 من كلية اللغات بجامعة بغداد. أثناء حياته المضطربة الحافلة بالمآسى والمحن والعذابات في العراق اصدر المجاميع التالية: تفاصيل عام 1976، ديوان عربي 1981، جيم 1989، نون 1992، اخبار المعنى 1996، النقطة 1999. في عام 2000 هاجر إلى الأردن ومن هناك اصدر مجموعة "حاء" عام 2002. ثم استقر به المقام في استراليا حيث مثواه الأبدى وعطاؤه الأدبي مازال مستمرا فصدرت له في منفاه الأسترالى المجاميع التالية: ماقبل الحرف مابعد النقطة 2006، شجرة الحروف 2007، أربعون قصيدة عن الحرف 2009، مواقف الألف 2012، الحرف والغراب 2013، إشارات الألف 2014، ورقصة الحرف الأخيرة 2015. تميز أديب كمال الدين بتجربة شعرية فريدة تسمى "التجربة الحروفية" حيث جعلته خارج جيله السبعينى الموهوم بالحداثة الشعرية على الطريقة الأدونيسية. فهو في الكثير من قصائده يتحدث عن ثنائية الحرف والنقطة ويعبر من خلالها عن مآسيه وعذابه وحرمانه واحزانه.

## 5. التناص القرآني في شعر أديب كمال الدين

استخدم أديب كمال الدين القرآن للتعبير عن مكنوناته والإفصاح عن مشاعره وبث من خلاله خواطره وأفكاره فجاءت نصوصه تضخ بالمعانى والمفاهيم والمضامين القرآنية. وكان تفاعله مع القرآن متنوعا فتارة يكون بالكلمة المفردة وتارة بالجملة أو الآية وأحيانا يتجاوز ذلك إلى إعادة جو القصص القرآنية. ومن النماذج القرآنية في شعره:

«أوقفني في موقف الماء/ وقال: قف على الماء/ فقد جعلت من الماء كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ»[4].

---

[1] . الغذامي، عبد الله، الخطيئة والتفكير: من البنيوية إلى التشريحية، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، 327.
[2] . مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري؛ استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1985، 119.
[3] . مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري؛ استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص 56.
[4] . كمال الدين، أديب، مواقف الألف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2012م، 69.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

في هذا المقطع يوجد صدى للآية المباركة «وجَعَلْنَا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ»[1] يقول المفسر الكبير العلامة الطباطبايى في تفسير هذه الآية: «ظاهر السياق أن الجعل بمعنى الخلق و«كل شيء حيّ» مفعوله والمراد أن للماء دخلا تاما في وجود ذوي الحياة وقد اتضح ارتباط الحياة بالماء بالأبحاث العلمية الحديثة»[2].

كثيرًا ما نرى الشاعر يوظف الماء في منجزه الشعري وترددت بكثافة هذه المفردة فكان الماء من أكثر السوائل استخداما في شعر أديب ذلك لأنه جرب في حياته المتقلبة الحافلة بالتنقل، جميع الرحلات المائية عبر البحار والمحيطات. ولكن السؤال الذي يطرح في البال، هو: كيف يمكن لإنسان الوقوف على الماء؟ فقد أجابت على هذا السؤال الدكتورة أسماء غريب في كتابها المعنون ب (تجليات الجمال والعشق عند أديب كمال الدين) قائلة: يبدوأن صورة الوقوف على الماء في هذه الأبيات لها وقع أكبر وأخطر على نفس المتلقي، إذ أنها تؤذن بوقوع خطب كبير وهو"الغرق"، فالمتكلم هنا يبدو وكأنه في مرحلة الحبو، فهويتلقى الأمر التعليمي والإرشادي من اليد التي توقفه على الماء ثم تحيطه بالعناية الكاملة حتى نهاية السفر المائي. قد يتبادر الى ذهن الملتقي بأن في الأمر مبالغة أومحاولة للتشبيه أوالتماهي مع من وقفوا أومشوا على الماء من الأنبياء والقديسين كالنبي عيسى (عليه السلام ) إلا أن أديب كمال الدين أظهر في أكثر من نص بأنه غير مشغول بالتشبه بأحد ولا بالتماهي مع أحد فقد أقفل باب النفس عن كل مظهر من مظاهر الغرور والتفاخر، الدليل على ذلك المقطع الشعري نفسه، فهو قال: "أوقفني" أي أنه لم يقف لوحده على الماء.[3]

«احذر فالموت آت/ وسوط الإيديولوجيا يجعل الناس سكارى/ وما هم بسكارى»[4].

تاريخ العراق المعاصر حافل بصور البؤس والمأساة والمعاناة. فقد سيطرت على العراق أنظمة وسلطات فرضت الصمت والإختناق فرضا على الناس وساد العراق أثناء الحكم البعثي العبثي جوا من القلق والإضطراب والخوف وجرى تعسف شديد واضطهاد وغمط الحقوق وتكميم الأفواه وعمدت السلطة الى سياسة البطش والفتك والتخويف، فلا اعتراض ولا مخالفة وإن وجدتا لكان بالتأكيد مصير من يقوم بهما التعذيب والموت والهلاك. فكثير من الناس لشدة خوفهم وبأسهم، كانوا وقتئذ ينتمون الى حزب البعث وسيطرت على عقولهم هذه السياسة المخيفة فذهبت بها وأذهلتهم. وفى المقطع يتناص الشاعر مع الآية الشريفة ﴿وتَرى النَّاسَ سُكَارى وما هُم بِسُكارى ولكِنَّ عَذابَ اللهِ شَديدٌ﴾ (الحج، 2) وهي وصف لأحوال الناس يوم القيامة فهم في ذلك اليوم الرهيب، من شدة عذاب الله، تسقط عقولهم في مهبط الدهشة والبهت وتذهب من شدة الحزن والفزع كذلك حال الناس الذين سيطرت على عقولهم الإيديولوجيا- أي السياسة- سيطرة تامة بحيث جعلتهم ضائعين تائهين كالسكارى يترنحون كالسكارى وما هم بسكارى، أي رغم أنهم لم يشربوا الخمرة.

---

[1] . الأنبياء، 30.

[2] . الطباطبايي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم، من منشورات دفتر انتشارات اسلامى جامعهى مدرسين حوزه علميه قم، 1417 ق، 279/14.

[3] . غريب، اسماء، تجليات الجمال والعشق عند أديب كمال الدين، منشورات الضفاف، بيروت، لبنان، 2013م، 54 و 55.

[4] . كمال الدين، أديب، أربعون قصيدة عن الحرف، دار الأزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009م، 87.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

«لوأنزلنا هذا الفجر الأسود/ وعلى وطن للحب/ لرأيت الزهر الدافيء ينمو. . / يلتف على الجسدين وحيدا/ ويمشط شعر القلب» (كمال الدين، 1989: 7).

يتحدث الشاعر في هذا المقطع والذى يليه عن أبى حيان التوحيدى الذي عرف بـ"فيلسوف الأدباء" وهو متصوف كبير من أعلام القرن الرابع الهجرى. لقد عاش هذا الأديب الكبير حياة مليئة بالشقاء والمعاناة والإحباطات الدائمة والإخفاقات المتواصلة انتهت بهذا العبقرى بغاية اليأس فاضطر أواخر حياته إلى إحراق كتبه.

هنا يمكن أن نلمس صدى الآية الكريمة ﴿لَوأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتِصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ (الحشر، 21) فقد استدعى الشاعر صيغة من الآية (لوأنزلنا)، وصيغة أخرى (لرأيته) بعد حذف الهاء لتصبح في المقطع (لرأيت)، فكان المقطع يرتدى حلة من الإيقاع القرآني لسورة الحشر، مزهوا بها غير متقاطع معها، مغايرا لها في المضمون غير ناقد، وهوبذلك (أى الشاعر) حقق وصولا سريعا الى المتلقى كون الأخير تسلم مفتاح النص من علاقة متحققة أصلا مع النص الغائب: الحاضر في النص الشعري. وبذلك أيضا استطاع الشاعر بث ما يريد بثه من خلال الصيغ التي استعارها، معتمدا في ذلك على العلاقة نفسها أصبحت فيما بعد عاملا مشتركا بين طرفي القراءة / المنتج/ والمتلقي[1].

أيضا يقول الشاعر في جانب آخر من هذه القصيدة:

«الرحمن / خلق الإنسان/ علمه ما لم يعلم. . / علمه ما كان يكون / ما لم يك في الحسبان»[2].

يحيلنا هذا المقطع منذ ابتدائه باسم من أسماء الله الحسنى (الرحمن) إلى ملاحظتين، أولاهما وبشكل لايقبل الشك أنه مبنى على تناصه مع (سورة الرحمن- الآية رقم 1)، وهو ما يثبت ملاحظاتنا بشأن إعلان الشاعر عن مصادره المتناص معها وابتداء من غلاف المجموعة (جيم). والملاحظة الثانية أن الشاعر في هذا المقطع متوافق تماما مع ما جاء بنص (سورة الرحمن). حتى كاد يخرج بشعريته إلى دائرة التأويل، لولا أن ذلك منفى بالسطر الذي يلى هذا المقطع مباشرة بقوله (المأساة اتسعت، من لى يا ذاكرةً خربة) وهوهنا في (إشارة الرؤيا) إذ يستدعى صيغتين من صيغ النص الغائب (فضلا عن لفظ الرحمن)، صيغة (خلق الإنسان وعلمه البيان)، والأخيرة هى التي يحاول تأويلها لنا ب (علمه ما لم يعلم. . علمه ما كان يكون. . ما لم يك فب الحسبان)، والعبارة الأخيرة من المقطع حملت معها صيغة رابعة على شكل مفردة لايمكن إرجاعها من خلال السياق الذي وردت فيه إلا إلى (سورة الرحمن- القرآن الكريم)، وبالتحديد الآية القرآنية (والشمس والقمر بحسبان)، وكما نرى هنا جاءت الإستعارة محاولة من الشاعر لتكثيف الصورة الشعرية باستدعائه للآية الكريمة على مستوى عال من الوعى بالحالة التي بثها النص بدوره على شكل صورة شعرية جديدة مختلفة عن ورودها داخل النص: الأصل[3].

---

[1]. كمال الدين، أديب، مواقف الألف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2012م، 350.

[2]. المصدر نفسه، 18.

[3]. المصدر نفسه، 250 و 251.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

## 6. شخصيات الأنبياء

شخصيات الأنبياء (عليهم السلام ) هى اكثر الشخصيات التراث الدينى شيوعا في شعرنا المعاصر، ولاغروفقد أحسّ الشعراء من قديم بأن ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم وتجربة الأنبياء، فكل من النبيّ والشاعر الأصيل يحمل رسالة الى أمته، والفارق بينهما أن رسالة النبيّ رسالة سماوية، وكل منهما يحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته، ويعيش غريبا في قومه محاربا منهم أوفى أحسن الأحوال غير مفهوم منهم[1].

فقد استدعى أديب عددا من شخصيات الأنبياء وقصصهم في منجزه الشعري محاولا التعبير عن مشاعره وأحاسيسه والإفصاح عن أفكاره مستغلا ما في هذه الشخصيات من دلالات، وما تحمله من معان وتعبيرات. والشخصيات التي استدعاها هى: شخصية النبيّ يوسف (عليه السلام )، ونوح ويعقوب وابراهيم ومحمد (عليهم السلام ) وعيسى وموسى والخضر (عليهم السلام ). فكانت السمة البارزة والمشتركة بين هؤلاء الأنبياء والمرسلين والصالحين، التحمل والصبر والتجلد امام ما قدره الله لهم. أيضا الشاعر من خلال قص قصصهم شرح تفاصيل معاناتهم ومحنهم وعذاباتهم وغربتهم وأحزانهم ليتعلم منها القدرة على التحمل.

### 6-1. النبيّ محمد ( صلى الله عليه وسلم)

من أبرز الشخصيات التي اعتنى الشعراء بتوظيفها منذ زمن بعيد، هي شخصية الرسول الأعظم ( صلى الله عليه وسلم) فكانت (رمزا شاملا للإنسان العربى سواء في انتصاراته أوفى عذابه)[2].

اما أديب فقد تناص بجانب من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهوحادثة الإسراء والمعراج التي تعتبر معجزة كبرى وخالدة أكرم الله بها رسوله ليشاهد اسرار العظمة الإلهية في أرجاء عالم الدنيا والآخرة ولاسيما العالم العلوى الذي يشكل مجموعة من براهين عظمته تعالى، وتتغذى بهذه المشاهدة روحه الكريمة وتحصل على نظرة وادراك جديدين لهداية البشرية وقيادتها، ويتضح هذا الهدف بشكل صريح في الآية الأولى من سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوالسَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء، 1) والآية من سورة النجم: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (النجم، 18) أما الشاعر وظف هذه القصة وتناص بها للتعبير عما يدور في أخلاده من أفكار وخواطر ولوصف الحالة النفسية التي يمر بها. فيقول في قصيدة " موقف المصطفى" متحدثا عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم):

«أرأيت كيف أسريتُ به/ الى حضرتى الكبرى / من سماء الى أخرى / فرأى من النور ما رأى/ فكان قاب قوسين أوأدنى».[3]

---

[1] . عشري زايد، علي، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ط، 1997م، 77.

[2] . المصدر نفسه، 77.

[3] . كمال الدين، أديب، الغراب والحرف، منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2013م، 53 و 54.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وفي قصيدة أخرى يقول:

«يا لسعدك/ وأنت منه قاب قوسين أوأدنى/ يا لسعدك / وأنت عند من يقول للشيء كن فيكون/ يا لسعدك/ وأنت عند من أضحك وأبكى / وأمات وأحيا/ وخلق الزوجين: الذكر والأنثى/ يا لبشراك/ وانت في السماوات العلى/ عند سدرة المنتهى».[1]

عندما يتحدث الشاعر عن معراج الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهو يقصد تلك الرحلة الوجدانية والنفسية إلى العالم المثال الحقيقى التي استطاع من خلالها أن يعبر عن خفايا مشاعره وأحاسيسه وأفكاره الفلسفية والعرفانية والصوفية. نرى الشاعر في المقطع الشعرى يلمح الى عدة آيات من سورة النجم حيث يقول الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) ... ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوأَدْنَى (9)... وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى (14) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15)﴾ (النجم، 15-1).

فى المقطع الشعرى تكررت عبارة (يالسعدك) عدة مرات لتدل على غبطة وحسرة الشاعر الشديدتين لما وصل اليه الرسول الأعظم من العلم والمعرفة الإلهية ومشاهدة ملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنع الله وبدائع خلقه تعالى.

### 2-6. النبيّ نوح (عليه السلام)

نوح من الشخصيات الدينية التي دعت الى ترك عبادة الأوثان وعبودية الله واحتلت قصة طوفانه الشهيرة مساحة شعرية كبيرة في شعر أديب. يقول الشاعر في موقف نوح:

«أوقفنى في موقف نوح/ وقال: يا عبدى أرأيت إلى صبر نوح/ وعذاب نوح/ ومحنة نوح/ وسفينة نوح/ أرأيت وقد قام بالقوم ألف سنة/ إلا خمسين عاما/ وهويذكرهم بآياتي / فما يزداد القوم إلا كفرا وطغيانا/ ثم قال: ربى إنى مظلوم فانتصر».[2]

يتحدث الشاعر عن نوح وصبره وشقائه ومحنته وعذابه ودعوته التي استغرقت 950 عاما ولكن كلما دعا نوح القوم الى التوحيد وعبادة الواحد القهار جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا على بغيهم واستكبروا استكبارا. وظل يجادلهم ويدعوهم بأنواع الدعوة ليلا ونهارا وسرا وعلانية بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى وكل هذه لم تنجح فيهم بل استمروا اكثر على الضلالة والطغيان. إلى أن طفح به الكيل وحزن عليهم لكنه لم يبلغ درجة اليأس وظل محتفظا بالأمل طوال 950 عاما فدعا الله لينقذه من شر هؤلاء المستكبرين والطغاة الى أن لبى الله دعواته فجاء اليوم الموعود. تحدث القرآن كثيرا وفى سور عديدة عن نوح وقومه المستكبرين؛ منها الآيات التالية من سورة هود:

---

[1] . كمال الدين، أديب، رقصة الحرف الأخيرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، 2015م، 95 و 96.

[2] . كمال الدين، أديب، مواقف الألف، 44.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (36) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (37) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (39) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (40) وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (41) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44)﴾ (هود، 44-36).

«حين عادت الحمامة بغصن الزيتون / صرخ الناس وسط السفينة فرحين /لكن الغراب سرعان ما عاد/ ليصيح بي بصوت أجش :/ ايهذا الشقى لم رميتنى بالحجر / اقترب منى / وضربني على عيني».[1]

اعتمد الشاعر كثيرا ثنائية الحمامة والغراب في قصائده التي ذكر فيها قصة نوح. والحمامة هى رمز النقاء والسلام، أيضا في منجز الشاعر تدل على الخير والحياة اما الغراب الذي هوعرف منذ قديم الزمن بالشؤم والخراب، في شعر الشاعر يرمز الى الشر والموت والدمار. وفي هذا المقطع الذي يبدولنا أنه حدث بعد انتهاء الطوفان، يذكر الشاعر عودة الحمامة بغصن الزيتون الى السفينة وهذا يدل على عودة السلام والطمأنينة والأمن الى العالم بعد امتلائه بالفساد والثبور وتنقيحه منهما. فصراخ الناس فرحين ناتج عن التخلص من العذاب والمحن ولكن هذا الأمر لم يدم طويلا إذ سرعان ما عاد الغراب أى الشر الى الكون، الذي قصد الشاعر دون غيره. فدنا منه وأصابه. يريد الشاعر من خلال هذا النص التكلم عن محنه وشقائه وشعوره بالإغتراب والمعاناة وملازمة الشر والحرمان والبؤس اياه.

### 3-6. النبيّ يوسف (عليه السلام)

شخصية النبيّ يوسف (عليه السلام) من الشخصيات الأكثر شيوعا وتوظيفا في منجز الشاعر. فإنها ترمز عنده الى النقاء والطيبة والعفة والموهبة والجمال الروحى والجسدي. كما ترمز الى الشخص المحسود المضطَهَد الممتَحَن المغترب بسبب ما أكرمه الله من مواهب وصفات عظيمة. هكذا كانت حياته سلسلة طويلة من العذاب والقهر والألم. لكنه واجهها بصبر عظيم وإرادة جبارة وقوة هائلة ولا عجب في ذلك فهو نبي. وقد استفاد الشاعر كذلك من هذا الرمز الكبير في شعره وفى الكثير من قصائده بشكل مباشر أو غير مباشر وفى العديد من مجاميعه. وسنتناول هذه الشخصية التي كان لها مجال فسيح في استعمال الشاعر. ففى إحدى قصائده المسمى بـ (العودة من البئر) يلوم الشاعر —وهو المتقنع بيوسف –أباه في محنة إلقاءه في الجب ويقول:

[1] . كمال الدين، أديب، الغراب والحرف، منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2013م، 8 و9.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

«لماذا تركتهم يلقونني في البئر/ لماذا تركتهم يمزقون قميصي؟/ لماذا تركتهم يكذبون/ وانت تعرف أنهم يكذبون»[1].

فقد ترك الأب الإبن الذي كان يحبه حبا جما ويغار عليه كثيرا إلى إخوته القساة فهم دبروا المكائد وتآمروا عليه والقوه في غيابات الجب. يقول القرآن في هذا المجال: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ (8) اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَواطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (10)﴾ (يوسف، 10-8) وإخوة يوسف هم رمز الحقد. استخدم الشاعر في النص أداة الإستفهام ثلاث مرات ليدل بذلك على شدة العتب واللوم وأيضا شدة القسوة والظلم واتساع رقعة المأساة التي واجهها في حياته وتقنع بالنبي يوسف (عليه السلام) فصار بمثابة المعادل الموضوعي له يعبر من خلاله عن معاناته وتمزقه واغترابه.

وفي قصيدته الأزلية يقول:

«هكذا ألقيت في البئر:/ ألقاني إخوتي/ وعادوا الى ابي عشاء يبكون/ قالوا: يا أبانا قد أكله الذئب/ فبكى أبي/ وكان شيخا جليلا/ حتى اخضلت لحيته بالأسى والحروف/ لكنّ السيارة إذ وصلوا الى البئر/ ما قالوا: يا بشرى هذا غلام/ بل قالوا: وا أسفاه هذا هلام/ وتركوني في البئر/ يمزقني الخوف والظلام والإنتظار».[2]

إن ظلمة البئر الذي أسقط فيه الشاعر ظلمة قاسية، يتحول فيها الشاعر الى هلام، حتى إن السيارة لايمكنهم إنقاذه، فكيف يمكن لهم أن ينقذوا هلاما، وما الذي يغريهم فيه كي ينقذوه إذ إنه لم يكن غلاما ولم يكن جميلا، فتركوه وحيدا تنهشه الظلمة والخوف والإنتظار في سجنه المريع. فإذا كان "النبي يوسف" نجى من محنته من قبل السيارة، وصار وزيرا وأميرا، فإن الشاعر مازال في البئر تمزقه وحشة الغربة والخوف والإنتظار، انتظارا لمن يساعده. واضح هنا الإستغلال الشعري لآيات من سورة يوسف قصد تشكيل صياغة جديدة منها تحقق الغرض النفسي. يتجلى هذا التفاعل من خلال التمظهر اللفظي للنص أي أن هذه الملفوظات منتزعة من عدة آيات من سورة يوسف حيث أعاد توزيعها ونشرها بطريقة تنم على مقدرة لا بأس بها فنيا إذ هي الى الإقتباس أقرب والآيات التي استغلها الشاعر هي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (15) وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ (16) قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْكُنَّا صَادِقِينَ (17) وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) ﴾ (يوسف، 19-15).

[1] . كمال الدين، أديب، اقول الحرف واعني اصابعي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2011م، 13.

[2] . كمال الدين، أديب، شجرة الحروف، دار أزمنة، عمان، الأردن، 2007م، 21.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

### 6-4. النبيّ الخضر (عليه السلام)

من الأعلام القرآنية التي ترمز إلى الصبر والحلم، شخصية الخضر (عليه السلام) وهو أحد الأشخاص المذكورين في القرآن الكريم ولكن لم يرد ذكره باسمه الصريح بل ذكر بعنوان ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف، 65) فهو لم يكن من الرسل إنّما كان من الأنبياء والصالحين لما أكرمه الله من علم وحكمة وهو أطول الناس عمرا ويقال بأنه حي يرزق. كان الخضر (عليه السلام) معلما لنبيّ الله موسى (عليه السلام) والذي بحث عنه حتى وجده. فكان حائزا بدوره على علم لم يكن النبيّ موسى (عليه السلام) حائزا عليه. يقول الشاعر مستدعيا شخصية الخضر (عليه السلام):

«أوقفني في موقف الخضر/ وقال: ياعبدى /أرأيت كيف أغرق الخضر السفينة؟/ أرأيت كيف قتل الغلام؟/ وكيف أقام الجدار؟».[1]

من خلال هذا المقطع يلمح الشاعر إلى القصة التي ذكرها القرآن الكريم في سورة الكهف عن خرق السفينة التي كان للصيادين الفقراء وقتل الغلام وبناء وإقامة جدار منهار لغلامين يتيمين بخل القوم عليهما بالطعام، كل تلك التصرفات لم يستطع موسى أن يفهم جوهرها وإن مجموع العلوم التي يمتلكها الخضر هي معارف وحقائق بالتكوين وحياة الناس وأنه حصل عليها على أساس الولاية والرحمة الخاصة والمطلقة. فكان الخضر رمزا للصبر والحلم والتجلد التي كان يتحلى بها وعنوانا لتجلي العلم الإلهي حيث كان ينفذ أوامر الله تعالى.

### 6-5. النبيّ إبراهيم (عليه السلام)

إن سيرة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) من أجمل وأكثر القصص التي ذكرت في القرآن الكريم ذخرا بالعبر والعظات، وإبراهيم هوأحد أولوالعزم من الرسل الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى في كتابه، فقد تحمل المشاق من أجل الدعوة إلى الدين الحنيف ليصبح عنوانا للصبر. ولم يتوان عن الدعوة وتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى وكان صادقا في محبته لله ومخلصا في طاعته وصابرا وصبورا حتى اتخذه الله خليلا له: يقول الشاعر عن هذا الرمز الصابر:

«أوقفني في موقف إبراهيم/ وقال: ياعبدى أرأيت إلى خليلي إبراهيم؟/ وكيف انتقلت به الدنيا/ من واقعة السؤال الى واقعة الخلق/ ومن واقعة الخلق الى واقعة النار، / ومن واقعة النار الى واقعة هاجر، / ومن واقعة هاجر الى واقعة العطش، / ومن واقعة العطش الى واقعة زمزم، / ومن واقعة زمزم الى واقعة اسماعيل، / ومن واقعة اسماعيل الى واقعة بيت العتيق».[2]

استحضر الشاعر قصة النبيّ ابراهيم (عليه السلام) بداية من تساؤله عن الخالق وتحيره في أمر مبدع الكون إلى وحي وأمر من الله بتقطيع الطير ومشاهدة معجزته في إعادة إحيائهم. يقول القرآن في هذا المجال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ

[1]. كمال الدين، أديب، مواقف الألف، 49.

[2]. المصدر نفسه، 46.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة، 260).

ثم حادثة إلقائه في النار والتى كان سببها تحطيم الأصنام على يد ابراهيم (عليه السلام) والتى كانت بردا وسلاما عليه كما صرح القرآن: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء، 68-69).

ثم يشير الشاعر إلى تبعيد هاجر مع ولدها الى واد غير ذي زرع وتركهما بين الصحارى والجبال اليابسة التي لا ماء فيها وعطشهما الشديد فهناك ناجى ابراهيم ربه قائلا:

﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (الأنبياء، 37).

ثم انفجار عين زمزم عند رجل اسماعيل (عليه السلام) ثم عملية ذبح اسماعيل بأمر من الله والتى تشير إليه الآية الكريمة : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (صافات، 102).

والحادثة الأخيرة وهى واقعة بيت العتيق تشير إلى بناء الكعبة على يد إبراهيم (عليه السلام) بإذن من الله حيث قال جل وعلا ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ (آل عمران، 96-97).

إنَّ كل هذه الإمتحانات التي ابتلى بها إبراهيم (عليه السلام) وكانت له عسيرة شديدة والتى امتثل فيها لأوامر الله وخرج منها مرفوع الرأس، قد أثبت فيها اخلاصه وإيمانه لله تعالى فكان صابراً وثابتاً في اتّباعه لطريق الحق وعنواناً للصبر من جمرة الصبر. وفي كلّ ما ذكره الشاعر تكمن إشارات صوفية وعرفانية يبتغيها الشاعر من النص.

أمّا في المقطع التالى، يستلهم الشاعر شخصية نبى الله إبراهيم حين ألقى في النار، فيقول:

«وإذا كانت النار على إبراهيم بردا وسلاما / فإنها لم تكن لي/ سوى نار من الألم والحقد والحرمان/ اشتعلت ولم تزل تشتعل فيّ».[1]

إنَّ النّار التي اشتعلت في الشاعر تختلف تماما عن النار التي ألقى فيها سيدنا إبراهيم (عليه السلام) لأنّها كانت على إبراهيم برداً وسلاماً ولم تكن للشاعر سوى نار من الألم والحقد والحرمان والتى اضرمت في وجوده منذ صغره ومازالت تلتهب فيه لأن حجم ما عاناه من ألم وعذاب وحرمان في ظل الظروف القاسية التي مرت بها بلده العراق، لا يستطيع أى أحد أن يخفف من غلوائه.

[1] . كمال الدين، أديب، شجرة الحروف، دار أزمنة، عمان، الأردن، 2007م، 11.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

### 6-6. النبيّ موسى (عليه السلام)

«أوقفني في موقف المهد/ وقال: وضعتك، إذ خلقتك، في المهد / وكان مهدك على الماء/ ينتقل من نهر إلى نهر / ومن بحر إلى بحر، / والشمس تحيط به / ثم تغرب إلى سواد عظيم/ والنجم يحيط به/ ثم يغرق فيه شيئا فشيئا، / وأنت في المهد/ تنظر وتبكي: إلى أين/ وقلبك فارق كفؤاد أم موسى».[1]

تتداعى في هذا النص الصور القرآنية للمهد بمناخ اليأس والتشظي، حيث تتجسد مشاهد قصة موسى حتى رسى أخيرا في قلب أمه لتطمئن به. في النص هناك صراع، صراع الطفل مع البحر ومع الموت وهناك قلب الأم المتلهف ينتظر ويتأمل ويدعومن الله أن ينقذة لتتساءل وتصرخ إلى أين؟

في قصيدة أخرى أيضا يستدعى الشاعر شخصية النبيّ موسى (عليه السلام) فيقول:

«ثم رأى موسى / يعبر بحرا من الرعب والموت / ورآه وهويقول: ربي. / فيقال له :/ لن تراني/ إنظر إلى الجبل / فإن استقر مكانه/ فسوف تراني/ هكذا في دمعة واحدة/ رأى الجبل ينهدُّ هدّا/ وموسى يستغيث: أنا أول المؤمنين».[2]

يشير الشاعر أولا إلى إجتياز موسى البحر عندما اراد انقاذ بنى اسرائيل من ظلم فرعون وجنوده وعبّر عنه ببحر من الرعب والموت ليدل بذلك على خطورة الأمر الذي قام به موسى (عليه السلام) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوإِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(يونس، 90).

ثم يستحضر جانبا آخر من حياة موسى (عليه السلام) إذ طلب رؤية الله سبحانه وتعالى وتجليه له فهناك ايضا صدى لهذه الآية المباركة: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف، 143) استلهام شخصية موسى (عليه السلام) هنا تدل على التعبير عمّا يدور في ذهن الشاعر من خواطر وافكار.

### 6-7. النبيّ يعقوب (عليه السلام)

ترتبط صورة النبيّ يعقوب (عليه السلام) في شعر أديب كمال الدين بالصبر العظيم. فقد ابتلى هذا النبيّ بأبناء عاقين جاحدين حاسدين متآمرين غادرين كذابين. وكان شيخا كبيرا لايقدر عليهم فلم يجد غير الدمع ملاذا والصبر أداة والإنتظار عملا. وقد كتب الشاعر عنه في اكثر من قصيدة بصورة مباشرة وغير مباشرة. من القصائد التي اشار فيها عن هذا النبيّ الصابروهى تحمل اسمه، هى قصيدة موقف يعقوب (عليه السلام):

---

[1] . كمال الدين، أديب، مواقف الألف، 19.

[2] . كمال الدين، أديب، شجرة الحروف، دار أزمنة، عمان، الأردن، 2007م، 8.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

«أوقفنى في موقف يعقوب/ وقال: يا عبدى/ أرأيت الى صبر يعقوب/ صبر تهد له الجبال هدا/ صبر صيّر يعقوب دمعة/ بحجم نبى، / وألما بحجم نبى، / وأسفا بحجم نبى، / فأكرمته بعد هذا العناء العظيم/ فكان بحق نبيا/ وابنا لنبى/ وأبا لنبى/ كان يعقوب من العارفين/ أنّ لا ملجأ منى الا لى/ ولذا ماعرف اليأس دربا الى قلبه/ وما عرف الغضب حرفا الى لسانه/ ماعرف الا الدمع/ رسالة شوق عظيم/ ارسلها ويرسلها اليّ/ كل فجر وليلة/ حتى ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم»[1].

يذكر الشاعر صبر يعقوب العظيم وتحليه به وتدرعه بهذا الدرع المنيع الذي ماتسرب اليه اليأس ولاعرف الى قلبه دربا. فالشاعر بتذكره صبر يعقوب يريد أن يخفف من وطأة الحزن والمأساة التي خيمت على وجوده منذ صغره فهى مازالت تلازمه وايضا يريد الإحتفاظ ببصيص الأمل وعدم افتقاده.

### 6-8. النبيّ يونس (عليه السلام)

«النون كانت نقطتى/ فلا تكن كصاحب النون/ إذ تداركته وهومابين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الموت».[2]

في هذه المقطوعة اشارة الى النبيّ يونس (عليه السلام) حين ألقى في البحر وابتلعه الحوت فحينها وجد نفسه في الظلمات بين الموت والحياة فدعا الله لينجيه وينقذه من هذا الكرب. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾ (الأنبياء، 88-87).

كأن الشاعر في هذا المقطع يتلقى خطابا وارشادا الهيا يأمره بعدم الجزع والحزن والخوف وعدم التسرع في الأمور والتحلى بالصبر والثبات والجلد ليفرج الله عنه الكرب ويكشف عنه الهم والحزن وضيق النفس.

### 6-9. النبيّ عيسى (عليه السلام)

«أوقفنى في موقف عيسى/ وقال: يا عبدى/ أرأيت الى من كلّم الناس/ في المهد صبيا/ أرأيت اليه وهويقول:/ سلام علىّ يوم ولدت/ ويوم أموت/ ويوم أبعث حيا/ أرأيت اليه/ وهوالذى أحيا الموتى/ بإذنى، / وأبرأ الأكمه والأبرص بإذنى، / فأنزلت اليه مائدة من السماء/ لتكون عيدا له ولأتباعه المخلصين. / أنزلت اليه/ وهوالذى حملت به مريم/ ليكون محبة للعالمين/ ذلك عيسى القائل/ الهى تعلم ما بنفسى/ ولا أعلم ما بنفسك/ إنك انت علام الغيوب»[3].

ذكر الشاعر في هذه القصيدة عدة معاجز قام بها النبيّ عيسى (عليه السلام) بدءا من تكليمه في المهد وهوطفل صغير ردا على قومه الذين وجهوا اتهامات الى والدته فبهذه المعجزة اراد أن يكشف عن طهارتها وبراءتها كما جاء في هذه

---

[1] . كمال الدين، أديب، مواقف الألف، 47 و 48.

[2] . المصدر نفسه، 30 و 31.

[3] . كمال الدين، أديب، مواقف الألف، 50 و 51.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الآيات: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30)وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32 ﴾(مريم، 32-29).

فقد اسكتت تلك الآيات القوم وذاع شأن عيسى الى يوم القيامة وقد جاء في سورة مريم ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم، 33) وقد أيد الله عيسى عليه السلام بمعجزات أخرى تفوق ما توصل اليه الناس من الطب في تلك الأزمنة الغابرة فكان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله. قال الله تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران، 49).

كذلك نزول مائدة من السماء كما طلب منه الحواريون والتى جاءت في القرآن ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (المائدة، 114).

والمقطع الأخير من القصيدة تناص مع الآية ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة، 116) وهي دعاء على لسان عيسى (عليه السلام).

إن هذه المعاجز كلها تبين قدرة الله عز وجل التي لاتضاهيها قدرة احد وتكون حجة الله تعالى على خلقه وإن أراد شيئا قال له كن فيكون.

## 7. النتيجة

إنَّ التناص مصطلح حديث نشأ في الغرب وتناوله عدد من نقاد الغرب كجوليا كريستفيا ونقاد من العرب كمحمد بنيس ومحمد عزام. والتناص يعني استحضار النصوص في نص ما أو تداخل نص في نصوص أخرى، ولهذا المصطلح جذور في النقد العربي القديم كالاقتباس والتضمين والسرقة الأدبية.

أديب كمال الدين من الشعراء الذين استخدموا القرآن لإثراء نصوصهم مما يدلّ على مقدرة الشاعر الفذّة في التمكين للمورث الديني ليكون مُصوّراً لهمومه ومعاناته.

توظيف المعطيات القرآنية في شعر كمال الدين لم يقتصر على الإشارة القرآنية، أو الإيماءة أو اللفظة، أو الآية، أو التركيب، إنّما تعدّى ذلك كله إلى استحضار المعجزات والقصص القرآنية ويمكن القول إنَّ توظيف القرآن في شعر كمال الدين أصبح تعزيزاً قويّاً لشاعريته وداعماً لاستمراره في ذاكرة الإنسان.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. البنداري، حسن، صرصور، عبد الجليل حسن، ثابت، عبلة سلمان، (2009 م)، التناص الديني في الشعر الفلسطيني، مجلة جامعة الأزهر، غزة: مجلد 11، العدد الثاني، 247.
2. الزغبي، احمد، (1995م)، التناص نظريا وتطبيقيا، الأردن: مكتبة الكتانى إربد، ط 1.
3. الغذامي، عبد الله، (1998 م)، الخطيئة والتفكير: من البنيوية إلى التشريحية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2.
4. الطباطبايي، السيد محمد حسين، (1417 ق)، الميزان في تفسير القرآن، قم: من منشورات دفتر انتشارات اسلامى جامعه مدرسين حوزه علميه قم.
5. تامر، فاضل، (لا تا)، النص بوصفه إشكالية راهنة في النقد الحديث، مجلة الأقلام، بغداد: ع 3-4، 16.
6. جنيت، جيرار، (1997 م)، من التناص إلى الأطراس، ترجمة: مختار حسني، مجلة علامات، المجلد الخامس، 179.
7. خمري، حسين، (1997 م)، إنتاج معرفة بالنص، مجلة دراسات عربية، بيروت: ع 11-12، 115.
8. طاهري نيا، علي باقر، پرستو قياسوند، (2010 م)، التناص القرآني في قصة حي بن يقظان لابن طفيل، فصلية لسان مبين، إيران: السنة الثالثة، العدد الخامس، 140.
9. مفتاح، محمد، (2005م)، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المغرب، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
10. عشري زايد، علي، (1997م)، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط.
11. كمال الدين، أديب، (2011م)، اقول الحرف واعني اصابعي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت: لبنان.
12. كمال الدين، أديب، (2009م)، أربعون قصيدة عن الحرف، الأردن، عمان: دار الأزمنة للنشر والتوزيع.
13. كمال الدين، أديب، (2012م)، مواقف الألف، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
14. . كمال الدين، أديب، (2015م)، رقصة الحرف الأخيرة، بيروت: منشورات ضفاف.
15. كمال الدين، أديب، (2007م)، شجرة الحروف، الأردن، عمان: دار أزمنة.
16. كمال الدين، أديب، الغراب والحرف، (2013م)، بيروت: منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون.
17. كمال الدين، أديب، جيم، (1989م)، بغدا: دار الشؤون القافة العامة، ط 1.
18. غريب، اسماء، (2013 م)، تجليات الجمال والعشق عند أديب كمال الدين، بيروت: منشورات الضفاف.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)